الادبيات في المهنة وفي الحياة اليومية

L’éthique professionnelle et au quotidien

لماذا الحديث عن هذا الموضوع اليوم، لماذا اخترناه، ما اهميته، هل يشكل جزءاً مهمًا بحياتنا وبعلاقتنا مع الغير، ونظرتنا لذاتنا وللغير، أو هو مجرّد اوهام أو مجموعة قيم لم تعد تنفع في يومنا هذا؟؟

هل لدى احد جواب؟ لا ادري... ربما نعم ربما لا. ربما الجواب داخل كل واحد منّا الذي لديه فكره ونظرته ورؤيته الذاتية للامور.

انا لن احاضر، ولن اطرح مثاليات وليس لدي وصفات معلبة جاهزة.

الذي ساقوم به، هو انني سافكر واياكم بالموضوع ونحاول سويًا الاجابة على بعض الهواجس.

ولكن ربما علينا في بادىء الامر ان نستعرض الوضع الذي وصلنا اليه اليوم. ربما يساعدنا على التفكير اذا تناولنا الشأن العام او استمعنا الى نشرة الاخبار حتى نسمع الكلمات التالية تتردد يومياً: فساد – رشاوى – تورط بالمال السياسي – تصفية حسابات – رؤوس كبيرة محمية – الامن الاجتماعي في خطر – الاتجار بالبشر – المخدرات – السرقات – الطائفة هي المرجعية – الزعيم .... السلسلة طويلة و تكاد لا تنتهي.

لماذا وصلنا الى هذه الحالة المزرية؟ الاسباب كثيرة و متعددة و متشعبة (هل احد من الحاضرين يعلم لماذا؟؟) هل كان الامر هكذا في الماضي؟ بالتأكيد لا.

من الاسباب المهمة جدًا بنظري، هو ان الانسان لم يعد غاية وقيمة بحد ذاته، هو مجرد سلعة تباع وتشترى، لم نعد اخوة بالانسانية، المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار. وانقلبت المفاهيم فصار الحق هو الباطل والباطل هو الحق، اصبحت المادة هي القيمة والمقياس... وهذا الوضع انسحب على الحياة السياسية، المهنية، العلائقية، اليومية، يعني باختصار دخلنا بنفق زوال الادبيات والاخلاقيات في حياتنا المهنية واليومية.
هذا ما نشهده حاليًا في لبنان و ينطبق ايضًا على بعض المجتمعات خارج لبنان، بالاضافة الى انه عالميًا سقطت كل الايديولوجيات و المثل العليا. كما ان التقدم و التطور العلمي مثل الاستنساخ واسلحة الدمار الشامل وغيرها تضع العالم كله في خطر. ربما لهذه الاسباب

برزت منذ بضعة سنوات مجالات للـ Ethique و من بينها اخلاقيات تطال الصحة والبيئة والتعليم والتواصل وغيرها.

اذن، هل نحن موافقون على ان هناك ازمة على صعيد الاخلاق؟

بشكل عام، عندما نتكلم عن الاخلاقيات ثمة لغط او التباس بين مفهومين: Ethique اي الاخلاقيات و الـ Morale اي الاخلاق. لكن الفرق بينهما كبير.

اذن، فلنحاول التمييز بينهما:

الـ Morale هي مجموعة من القواعد السلوكية و المبادىء الالزامية في مجتمع معيّن. و تقوم على معيار مزدوج (الخير و الشر) (le bien et le mal) قائم على اساس الواجب devoir من اجل غاية نبيلة. و كل شخص يريد ان يطبق الـMorale يستطيع ذلك، وبشكل عام فإن تطبيقها متشابه عند الجميع، و ذلك لانها مرتبطة اساسًا بالمعتقدات والثقافات وحاجات المجتمع وفي احيان كثيرة بالدين.

اذن هي مجموعة قواعد يمكن ان تعتبر جيدة بشكل عام. وتجيب على السؤال : "ماذا يجب ان افعل؟ "Que dois – je faire?

الـEthique هي مجموعة القيم التي توجه و تحفز افعالنا، هي البحث الدائم عن الخير في افعالنا والذي يؤدي الى السعادة والطمأنينة لدى الغير.

هي الطلب الى اعتماد افضل الحلول امام اي مشكلة وذلك بارتكازنا على قيم مقبولة مع الاخذ بالاعتبار السياق التي تطرح فيه المشكلة.

اذن نحن نتكلم عن خيار شخصي، نابع عن قناعة ، ومبني على قيم.

يجب ان نميّز بين مستويين من الـ Ethique :

- المستوى الاول: على الصعيد الفردي أي نحن، حيث ينبغي علينا ان نطرح على انفسنا الاسئلة التالية و نجيب عليها:
  ١. ما هو اهم شيء في الحياة؟
  ٢. أي قيم يجب اعتمادها؟
  ٣. أي نوع من العلاقات نريدها مع الآخرين؟

بالتالي نحن نرسم خارطة طريق ورؤيا لحياتنا. وفي هذه الحالة تصبح القيم اهدافاً بحد ذاتها وتصبح افعالنا هي الوسيلة لبلوغ هذه الاهداف. مثلاً، انا اريد علاقة مبنية على الاحترام والعدالة والمساواة. اذن، الاحترام هو قيمة، العدالة هي قيمة، و المساواة هي قيمة. مجموعة القيم هذه ستصبح اهدافًا بالنسبة لي اسعى لتحقيقها.. كيف؟ من خلال افعالي، المرتكزة على احترام الآخر بغض النظر عن لونه، دينه، مستواه العلمي او الاقتصادي. وبهذا انا اعتبر الآخر مساويًا لي، و احترمه مثلما احترم نفسي.

- المستوى الثاني: يظن البعض ، وربما الحق معهم، ان فرض القوانين و الانظمة والقواعد العامة هي ايضًا طريقة للوصول الى المثل والقيم ولكن كما رأينا سابقًا ان القواعد هي عامة و يمكن ان لا تتناسب مع جميع الاوضاع وبالتالي تصبح بعض الخيارات ضرورية. وهنا يأتي دور التفكير الاخلاقي او الـ Reflexion ethique حيث علينا تجاه مشكلة معينة ان نطرح على انفسنا الاسئلة التالية:
  ١. ما هو الافضل في هذه الحالة؟
  ٢. ما هي القيمة الاكثر اهمية التي يجب احترامها في هذه الحالة؟
  ٣. ما هو القرار الافضل الذي يجب ان اتخذه مع الاخذ بعين الاعتبار السياق التي تمر به المشكلة؟
  ٤. ما هو اقل ضرر ممكن في هذه الحالة؟
  ٥. ما هي تداعيات قراراتنا؟ سلبية / ايجابية.

عندما نحاول ان نعطي اجوبة على تلك التساؤلات، و نعطي معنى لافعالنا من خلال اختيارنا الافضل والاقل ضررًا ندخل مجال الـ ethique و الـ reflexion ethique التفكير الاخلاقي . هو الذي يكون ضمير المشكلة قبل ان يكون الحل. هو الذي يدقق في اختيار القيم، و يحمّل مسؤولية للفرد، و يفتش عن افضل الحلول، ويضع كل التداعيات السلبية و الايجابية ثم يتخذ القرار المناسب.

هكذا نكون قد حاولنا التمييز بين الـ Ethique و الـ Morale

باختصار:

Morale : قواعد سلوك الزامية – عامة – تنطلق من العادات والتقاليد والمعتقدات – تطبق كما هي – هي واجب – ممنوعات علينا احترامها واحياناً كثيرة غير مفسرة – ما يجب فعله – مقرر – منصوص عليه – متوجب – مفروض.

Ethique : تنطلق من الذات – هي خيار – تبقي الافضل – تعتمد على القيم الشخصية – تنطلق من علاقة الفرد مع ذاته و مع الاخرين – تفكك القيود والعادات – هي التزام – تصف و تقترح.

بعد ان حددنا المفهومين، سنحاول الآن ان نركز على ناحيتين:

- الاولى: الاخلاقيات او الادبيات في المهنة
- الثانية: الاخلاقيات في الحياة اليومية

اولاً: الاخلاقيات ضمن المهنة

عندما نقول مهنة، نتكلم مباشرةً عن اشخاص مهنيين professionels واذا حاولنا توصيفهم اكثر، نستطيع القول انهم اشخاص لديهم:

- خبرة ومقدرة ومهارة تسمح لهم بمزاولة مهنتهم.
- لديهم formation تأهيل يسهم في تنفيذ جيد لما سبق و تعلموه.
- يقدمون خدمات جيدة معينة للاشخاص الذين يلجأون اليهم.
- هناك قواعد ومبادىء تحدد مجالات تطبيق مهنتهم.
- عليهم احترام واعتماد قيم اساسية في صلب المهنة التي يمارسونها.

بالتالي عندما نكون بحاجة الى خدمة معينة في مجال معين، نلجأ الى فني اختصاصي في هذا المجال ونتوقع منه ان يتحمل مسؤوليته، وان يحترم مبادىء مهنته ومتطلباتها، وان يحترم القيم الاساسية المتعلقة بمهنته، وان يقدم لنا الخدمة التي نحتاجها على اكمل وجه.

من ناحية ثانية، يجب عليهم احترام زملائهم في المهنة، في العمل، احترام المؤسسات التي ينتمون اليها، النقابات التي ينضوون فيها وذلك من خلال مدوّنة "آداب المهنة" code de déontologie الذي ينظم المهنة، علاقتهم ببعضهم البعض، واجباتهم تجاه طالبي الخدمة. باختصار، يحدد القواعد والسلوكيات والقيم الواجب اتباعها.

بالتالي، نلاحظ ان ادبيات واخلاقيات المهنة ترتكز على البعد الاخلاقي المتعارف عليه morale لاننا لا نستطيع ان نغفل القوانين والقواعد المنصوص عليها وعلى البعد الاخلاقي الثاني المرتبط بالنظرة الذاتية والقيم الذاتية (Ethique) بمعنى أي قرار يجب اتخاذه في هذه الحالة.

واذا كان الـEthique هو السعي لايجاد واعتماد افضل القرارات واكثرها عدالة، فإن الـ E.P هي مجموعة القيم التي لها بالغ التأثيرعلى عمل شخص ما، وعلى طالبي الخدمة منه. ما يعني ان كل عمل او فعل يقوم به سيكون له تأثير واثر على الاخرين قد يكون سلبيًا او ايجابيًا.

اين نحن المهنيين المتواجدين في هذه القاعة من اخلاقيات المهنة؟ كيف نمارس مهنتنا؟ هل نأخذ بعين الاعتبار الآخر؟ هل نفكر في مصلحته؟ هل نقدم له افضل خدمة ممكنة؟ ما تأثيرعملنا عليه؟ التزامنا لمن، ولاؤنا لمن؟؟ هل نعتمد قيم انسانية؟

لا شك ان بعض المهن لها تأثيراكبرمن غيرها على طالب الخدمة وربما ستؤثر على مسار حياته ومستقبله مثل العمل في مجال الصحة – التربية – العمل الاجتماعي – النفسي (كره مادة تعليمية بسبب مربي، تشخيص طبي سيء و معالجة سيئة، غلطة اخصائي نفسي كفيلة بتدمير حياة شخص).

وبما اننا اليوم متواجدين ضمن صرح تعليمي، اخترت قطاع التعليم والتربية لاتكلم عنه في مجال اخلاقيات المهنة.

جميعنا ضمن هذه القاعة ندرك ان التربية والتعليم ليست محصورة فقط بالاطفال والاولاد، وانما تطال كل الشرائح العمرية في المجتمع، وهي عملية مستديمة ترتكز على التقدم والترقي والعبور من التبعية الى الاستقلالية، من حالة معينة الى حالة افضل على كل الصعد، باختصار هي التخلص من الجهل. ومن يقول افضل يقول قيمة، ولا وجود لتربية من دون قيم، وقيم التربية متعددة: الحرية – الاستقلالية – احترام الغير – المساواة.... وبالتالي تصبح التربية العائلية والمدرسية هدفها ليس فقط اولاد اليوم وانما ما سيصبحون عليه بعد ٢٠ سنة.

في التعليم هناك اطراف عدة: الطالب او التلميذ – المربي – الادارة – البرنامج الدراسي - الأهل .

كلها مبدئيًا تصب في خدمة التلميذ ليصبح على ما ذكرناه سابقًا شرط ان يكون هو الهدف والغاية وان تؤخذ حاجاته بعين الاعتبار.

العامل المهم بالنسبة للتلميذ هو المربي لأنه على تماس دائم معه.

فلنحاول ان نحدد دور المربي ومن اين يستمد سلطته.

يمكن تلخيص دوره بأنه الشخص المفترض به ان يوجه عمله بما فيه مصلحة التلميذ.

من اين يستمد سلطته؟ قد تكون الاجابة انه يستمدها من خلال مركزه أو منصبه، من قوته، من خبرته، من عمره، من الصلاحيات المعطاة له، من قدرته على اتخاذ القرارات ووضع انظمة الصف.... لكن الافضل هو ان يستمد سلطته من:

- كفاءته
- معرفته
- قدرته على التعليم
- قدرته على التحفيز
- قدرته على تحبيب مادته للتلامذة
- قدرته على خلق الرغبة في التعلم

لكن هذا لا يعني انه محصن ضد الخطأ فلا يخطىء، بل يجب ان يخطىء لكي يعلّم الاولاد كيفية ادارة الخطأ.

- لديه سلطة لانه عادل، وهو الذي يضمن احترام القوانين و الانظمة
- عليه ان يظهر شرعية واهمية واحقية القوانين
- هو الشخص الذي نستطيع مناقشته في حال لم نكن موافقين على الانظمة
- هو بمثابة حكم نستطيع اللجوء اليه في حال النزاع لانه غير منحاز
- هو شخص نستطيع اللجوء اليه عند الحاجة، يستمع الينا ولا يغضب عندما لا نفهم
- هو شخص لا يزال يحب الاستكشاف و شغوف بالمزيد من المعرفة، و هو في تطور دائم
- هو شخص يأخذ بعين الاعتبار حاجات وطاقات تلامذته

وبالتالي ، أهم المبادىء التي يجب علينا احترامها والعمل بموجبها فهي:

- احترام الطفل و تشجيعه وإشعاره بقيمته، خاصةً الذين لديهم مشاكل او قدرات محدودة
- التعامل بمساواة وعدل بين الجميع
- تنمية حس المسؤولية واتخاذ القرار
- عدم اعتماد المقارنة بين التلاميذ
- عدم اصدار الاحكام المسبقة

كل هذه الامور لا تمر من خلال الكلام وانما من خلال الممارسة، وعلى المربي ان يمارسها امام تلامذته.

هذه الصفات والمؤهلات يمكن ان تنسحب ايضاً على ميادين مهنية اخرى مثل موظف في بنك مع العملاء، طبيب مع مريض، محامي ، ممرض...

هل الكثير منا يأخذ هذه الامور بعين الاعتبار؟ كم من الاحيان، نحن الذين ندعي حماية الطفولة، وفي الوقت نفسه، ربما بطريقة واعية او غير واعية، نضع هذه الطفولة تحت وطأة اعمال تفوق قدرتهم و طاقتهم على التحمل؟

و انا هنا لا اريد ان اعمم، انما هذه الحالة موجودة، واعلم ان ضغط العمل، متطلبات العمل، الراتب، البرنامج الذي يجب ان ينتهي في الوقت المحدد، النتائج المتوقعة منا، كل هذه الامور يمكن ان تنسينا الهدف الاساسي لعملنا و لمن هو موجه.

بالنسبة للبعض، المهم احياناً هو صورة المؤسسة، صيتها، نسبة النجاح لديها، اختيار النخبة، التنافس حول النتائج.. هذا الامر ليس سيئا"، وانما لا يجب ان يكون على حساب و مستقبل الطفولة، و مستقبل اولادنا رجال الغد. " مثلما نربي نلاقي" هكذا يقول المثل، مثلما نزرع نحصد. اذا زرعنا احترام و مساواة و عدالة و التزام بقضايا الناس .. سوف نحصد مواطن صالح يعلم حقوقه و واجباته ويمارسها

ثانياً : الادبيات/ الاخلاقيات في الحياة اليومية

من هم المعنيين عندما نتكلم عن الاخلاقيات في الحياة اليومية:

اولا": نحن انفسنا

ثانياً: الاخر

ثالثاً: المحيط

كل ما تحدثنا عنه سابقاً يمكن ان ينطبق على حياتنا اليومية و على علاقاتنا، مع فارق بسيط ان كل ميدان من هذه الميادين الثلاثة له قيمه المرتبطة به اكثر من غيره.

١. مع الذات

- القيمة الاهم هي احترام الذات، هي البداية وهي النهاية، والذي لا يحترم نفسه لا يستطيع ان يحترم غيره.
- الثقة بالنفس وبالقدرات (هي مفتاح النجاح والانفتاح نحو الآخر) وفي نفس الوقت ادراك حدود الذات.
- ممارسة الحرية الشخصية من خلال القدرة على الاختيار، اتخاذ القرار، التنفيذ مع القدرة على النقد الذاتي عند الضرورة.
- الانفتاح على الآخر.
- الالتزام بالقيم والمبادىء التي يؤمن بها.
- السيطرة على الذات وعلى الانفعالات.
- ان يتحمل المرء مسؤولية اعماله مهما كانت النتائج.
- الاعتراف بالخطأ للآخر الذي أخطأنا معه.
- كل هذه القيم لا تخلق مع الانسان انما يكتسبها بالممارسة والتماهي مع الآخرين (البيت، المدرسة، الحياة، التجارب ...)

٢. مع الآخر

يمكن للآخر ان يكون مطلق شخص، العائلة، الثنائي (الكوبل)، الاولاد، الزملاء، الجيران ....

مثلاً، اهم شيء في حياة الثنائي:

- احترام ما التزما به .
- الاخذ بعين الاعتبار وجود الآخر و حاجاته.
- اتخاذ القرارات سويًا.
- احترام جسد الآخر ورغباته.
- الوفاء وعدم الخيانة.
- التواصل والاستماع.
- احترام بيئة الآخر.
- احترام هامش حرية كل فرد.

وأهم القيم الواجب احترامها في العمل هي:

- احترام طالب الخدمة.
- السرية المهنية.

- تحمل المسؤولية.
- مقاومة الاغراءات.
- العمل الفريقي.
- عدم استغلال السلطة.

٣. <u>مع المحيط</u>

اي المحيط القريب / البعيد / الذي يبنيه الانسان / الانهار/ البحار.

وعندما نتكلم عن اخلاقيات المحيط نتكلم عن:

- الثقافة البيئية على مستوى الفرد / الجماعة.
- واجبات الفرد تجاه البيئة والكائنات.
- عن علاقة الانسان بالطبيعة.
- عن التفكير مسبقًا بتأثير التقدم العلمي والتكنولوجي على البيئة.
- عن احترام القوانين والانظمة.
- عن المحافظة على النظافة الشخصية والعامة.

وبهذه الكلمات أكون قد انهيت موضوع الاخلاقيات في الحياة المهنية واليومية. ولكن قبل الكلمة الاخيرة اريد ان اعود الى الاسئلة التي طرحتها في اول مداخلتي: لماذا هذا الموضوع اليوم؟ اهميته؟ قيمته؟ تداعياته؟

امل ان نكون قد اجبنا سويًا على هذه الأسئلة، اعلم ان الموضوع شائك وصعب وفلسفي ويحتاج الى جهد شخصي لاتخاذ قرار بأن تكون حياتنا مبنية على الاخلاقيات وعلى القيم.

يكفيني انا بالذات في نهاية هذه الجلسة ان أكون قد استطعت خلق بعض علامات الاستفهام لدى البعض حول قيمة ومعنى حياتنا وحول العلاقة التي نريدها مع الغير.

يبدأ التغيير دائمًا بطرح التساؤلات. ربما بعض هذا التغيير سيؤدي الى مجتمع يسوده ولو القليل من العدالة والمساواة والانسانية.

كاتيا كارتنيان